اغلاط العرب

(تابع لما قبل)

وقال الآخر

ومَن يتَّقْ فان الله معهُ ورزق الله مؤتابٌ وغادِ

سكّن القاف من قولهِ يتَّقِ بعد حذف آخرهِ للجزم قال صاحب الصحاح فادخل جزماً على جزمٍ للضرورة . قال في لسان العرب وقال ابن سيده اراد يتَّقِ اي بكسر القاف فاجرى « تَقِفَ » من « يتَّقِ فإنَّ » مجرى عَلِمَ فخفف كقولهم عَلْمَ في عَلِمَ . اهـ . ومعنى هذا ان الشاعر توهم انهُ لو اقتُطعت التآء والقاف من « يتَّقِ » وضُمَّت اليهما الفآء من « فإنَّ » كان مجموع هذه الاحرف الثلاثة « تَقِفَ » وهو بوزن عَلِمَ وقد جآء في بعض لغاتهم وهي لغة بكر بن وائل تسكين عين فَعِلَ المكسور فيقولون في عَلِمَ عَلْمَ فسكَّن القاف من « يتَّقِ » لوقوعها من « تَقِفَ » موقع اللام من عَلِمَ . فتأمل بعيشك هذا التمحل الغريب وتصوَّر في نفسك شاعراً قد جمع قريحتهُ للنظم فبينا هو يناجي طبعهُ ويطوف على اجنحة خيالهِ يرتاد معنًى من المعاني الفخيمة ويتخير لهُ من خزائن لفظهِ القالب اللائق لتمثيلهِ اذا هو يتفقد مقاطع حروفهِ وهجآء كلماتهِ ويقتطع شيئاً من هذه اللفظة وشيئاً من تلك فيركب منهما لفظةً لا معنى لها ثم يطوف بهذه اللفظة على قبائل العرب لينظر كيف يُنطَق بها في كلّ لغةٍ من لغاتهم . لا جرم ان هذا لما لا يكاد يتفرغ لهُ اصحاب الالغاز والمعميات من صيارفة اللفظ فضلاً عن الشاعر الجاهليّ او المولَّد . وانت خبيرٌ بان شعرآء الجاهلية لم يكونوا

يلتفتون الى تقطيع الاجزآء الطبيعية في الشعر وقد لا يتوهمونها اصلاً فما ظنك بتفصيل اجزآء الكلم هذا التفصيل الغريب وتلفيق بعض حروفها الى بعض واين محل هذا التكلف الشاق من بداهة الشاعر واندفاع عارضتهِ في النظم . وياعجبا لمَ لا نقول ان الشاعر اضطرّ الى اسقاط حركةٍ من بيتهِ فسكن هذا الحرف بحكم الضرورة كما قالهُ صاحب الصحاح وهو الوجه المعقول الذي لا غبار عليه ولا تعسُّف فيهِ . ومثل هذا قولهم في قول الآخر

تقول ألا تمْسِكْ عليَّ فانني ارى المال عند المالكين معبَّدا

قال في لسان العرب سكّن آخر تمسك لانهُ توهم « سِكُعَ » من « تمْسِكُ عليَّ » وهو بناءٌ فيه ضمةٌ بعد كسرة وذلك مستثقل فسكّن كقول جرير

سيروا بني العمّ فالاهواز منزلكم ونهر تِيرَى ولا تَعْرِفْكُمُ العربُ

انتهى كلامهُ . ويعني انهُ لو ضُمّت الكاف من « تُمسِك » في البيت الاول لاجتمع من السين والكاف مع عين « عليَّ » لفظ سِكُعَ بضم الكاف بعد السين المكسورة وكذا لو ضمت الفآء من « تعرفكم » في البيت الثاني لجآء هناك لفظ « رِفُكُ » وفيهِ ايضاً ضمة بعد كسرة فلذا سكّن الشاعران آخر المضارع ولا ضرورة في البيتين . والظاهر انهُ ينبغي ان يحمل على هذا قول عمر بن ابي ربيعة

وقلت لها لو يسلك الناس وادياً وتنحينَ نحو الشرق عما تيمموا
لكلفني قلبي أُتابِعُك انني بذكراكِ اخرى الدهر صبٌّ متيَّمُ

على ان هذا فيهِ زيادةٌ على ذلك حذف الناصب قبل الفعل ولعلَّ لهُ وجهاً آخر يخرجهُ عن الضرورة . لكن على فرض صحة ذلك كله فما العذر

في قول امرئ القيس

فاليوم أشرَبْ غيرمستحقبٍ اثمًا من الله ولا واغلِ

فانهُ سكن البآء من اشرب من غير ان يجيء هناك شيء على وزن علِمَ ولا ما يشبه « سِكِعَ » ولا « رِفُكُ » . ومثلهُ قول عديّ بن زيد

فهل لك ان تَدارَكَ ما لدينا ولا تُغلَبْ على الرأي المصيبِ

سكن آخر تُغلب وهو معطوف على تدارك المنصوب او مرفوعٌ على الاستئناف . وبعد فاذا كان كل موضعٍ في الكلام اتفق ان يتوالى فيهِ مثل حركات علِمَ او يقع فيهِ الضمّ بعد كسر يجوز فيهِ التسكين وان لم يكن ثَمَّ ضرورة لزم ان نطلق هذا الحكم في النظم والنثر على السوآء وحينئذٍ يعرض لنا مثل قولهِ « انهُ من يتّقِ ويَصبر » فانهُ يُستَخرَج منهُ لفظ « نَقِوَ » وهو ادعى الى الاسكان لمكان الواو بعد القاف . ومثلهُ قولهُ انها لَمِنَ الغابرين .. فنَتَّبِعَ آياتك .. انفروا خفافًا وَثِقالاً .. الى الجنَّةِ والمغفرة .. وهو الذي انزلَ مِنَ السمآء مآءً .. والامثلة من ذلك كثيرة . وكذا قولهُ ونحن نسبّحُ بحمدك ونقدّسُ لك .. تعرِفُهُم بسيماهم .. ومنها نخرِجُكم .. والله يريد بِكُمُ اليسر .. يجادِلُنا في قوم لوط .. ومن الناس من يعجبُكَ قولهُ .. ويحذِّرُكَ الله نفسهُ .. الى غير ذلك مما لا يُحصى ولا شك ان التسكين لا يجوز في شيءٍ من ذلك ولا فيما يماثلهُ في اي كلامٍ وقع . وربما عكسوا فحركوا الساكن في غير حدّهِ كقول الآخر

ألا رُبَّ مولودٍ وليس لهُ ابٌ وذي ولدٍ لم يَلْدَهُ أَبَوانِ

اراد لم يلِدْهُ بكسر اللام وسكون الدال فاضطرّهُ الوزن فسكّن اللام وحرّك

الدال بالفتح او بالضمّ فصار كانهُ من لَدِيَ يلدَى او من لدا يلدو . ونحوهُ قول كعب بن مالك

لقد لقيت قُرَيظة ما سآها وحلّ بدارها ذلٌّ ذليلُ

يريد سآءها المهموز الآخر فجآء بالفعل على سأى مثال سعى على ان الخطب في هذا اسهل لان حرف العلة والهمزة كثيراً ما يتعاوران . وقال الآخر

ألا لا بارك اللهُ في سُهَيلٍ اذا ما اللهُ بارك في الرجالِ

قال في لسان العرب انما اراد الله فقصر ضرورة . وقال الاعشى

كحلفةٍ من ابي رياحٍ يسمعها اللاهُمَ الكُبارُ

الكُبار بالضم والتخفيف بمعنى الكبير وقولهُ اللاهُمَ بضم الهآء وفتح الميم ويُروَى لاهُمَ بدون ال يريد اسم الجلالة خفف الميم واستعملهُ فاعلاً ليسمع ونعتهُ بالكُبار وكل ذلك غلط لان هذا الاسم لا يستعمل الاّ في النداء ولا يجوز نعتهُ نصّ على هذا الاخير سيبويه . ومنهم من روى لاهُ الكُبارُ اي الههُ واستدلّوا بهذا على اشتقاق اسم الجلالة من لاه يليه اي تستّر كما فسرهُ في الصحاح وقال في لسان العرب وحكى بعضهم لاه الله الخلق يلوههم خلقهم قال وذلك غير معروف اهـ . وكلاهما ليس بشيء فان الهمزة في اله من اصل الوضع كما يدل عليهِ هذا اللفظ في سائر اللغات الساميّة وهو يدور فيها بين ايل وايليون والاه والوه والوهيم وانما حذفت من لفظ الجلالة تخفيفاً كما هو المذهب المشهور . واصل معنى ايل القدرة والسلطان ثم استعملوهُ بمعنى البَطَل القاهر ثم نقلوهُ الى معنى واجب الوجود

(ستأتي البقية)